

المجتمع والثقافة في الشمال الأفريقي القديم

نظرة موجزة في إسهامات الجزائر في الحضارة الإنسانية

أ.د. العربي عقون
قسم التاريخ والآثار
جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

الملخص:

تتناول هذه الدراسة مجتمع شمال أفريقيا القديم وثقافته وهي تحاول تفحص التاريخ الذي كتب بأقلام أجنبية غير موضوعية في كثير من الأحيان وهي أقلام أسست لفكرة أن شمال أفريقيا ليست له إسهامات في الحضارة الإنسانية.

وعبر ثلاث محطات رئيسية تحاول الدراسة أن تعرّف بـ:

- البلاد وخصائصها الطبيعية المنعكسة على المجتمع.
- المجتمع من حيث الأصول والبنى الاجتماعية والأسرة ومكانة المرأة.
- ثقافة الشمال الأفريقي القديم وإسهاماته في الحضارة الإنسانية.

وهذا للوصول في الأخير إلى أنّ للمغرب القديم عموما والجزائر على وجه الخصوص إسهاماته التي لا يمكن إغفالها، داعين الباحثين الشباب إلى ضرورة إعادة قراءة تاريخ المنطقة وخاصة القديم منه لتحريره من الأحكام المسبقة قديما وحديثا.

الكلمات المفتاحية

المجتمع . الثقافة . العائلة . القبيلة . الشمال الأفريقي القديم . الجزائر .

مقدمة

Résumé :

ليبيا (Libya) في المصادر الإغريقية وأفريكا (Africa) في المصادر اللاتينية الرومانية والغرب الإسلامي (*) خلال التاريخ الوسيط الإسلامي، هذه التسميات على تعددها هي تسميات لمنطقة واحدة تشكل فضاء واسعا يمتدّ من غربي حوض النيل إلى جزر الكناري

Cette étude traite la société et la culture de l'Afrique du Nord ancienne. Elle essaie d'examiner certains aspects de l'histoire de cette région; il s'agit là des écrits d'auteurs de l'époque coloniale, non objectifs dans de nombreux cas, ces auteurs ont mis en place l'idée que, l'Afrique du Nord, n'a pas de contributions à la civilisation humaine.

Ce fond est abordé dans cette étude, à travers trois points principaux, qui sont

- Les caractéristiques naturelles du pays.
- La société de Maghreb ancien, ses origines, ses structures, la famille et le statut de la femme...
- La culture de l'Afrique du Nord ancienne, sa contribution à la civilisation humaine

Et ce, pour tirer des conclusions plus objectives; ce pays donnait à l'humanité le premier roman (Asinus aureus) et la première encyclopédie dans les sciences agronomiques.

Donc, ces travaux créatifs ne peuvent pas être ignorés, et nous appelons nos jeunes chercheurs à la nécessité de relire l'histoire de la région, en particulier son histoire ancienne, pour libérer notre histoire de ces préjugés, commis par certains historiens tendancieux.

Mots Clés :

Société. Culture. Famille. Tribu. L'Afrique du Nord ancienne. Algérie.

في المحيط الأطلسي ومن البحر المتوسط شمالا إلى هضبة الصحراء الكبرى على مشارف نهر النيجر في عبوره لتمبوكتو وغاو جنوبا ، وفي العصر الحديث ظهرت تسميات جديدة لهذه المنطقة حيث نجد في الدراسات الأوربية - ما قبل الاستعمار - تسمية الدويلات البربريسكية (Etats Barbaresques) ولما عمم اسم أفريقيا على القارة ظهر اسم أفريقيا الشمالية (Afrique du Nord) أو شمال أفريقيا (North Africa) كمصطلح جيوسياسي^(**) وأخيرا ظهرت تسمية المغرب العربي التي روجت لها الصحافة العربية على الخصوص بعد استقلال بلدان المنطقة.

مثلا أنّ هذه المنطقة - والجزائر قلبها النابض - تمثل وحدة جغرافية فهي كذلك تمثل عبر التاريخ وحدة اجتماعية متمثلة في الشعوب المغاربية منذ التعمير البشري الأول إلى اليوم، كما تشير إليه المصادر التاريخية والدراسات الأثرية، وكذا التوبونيميا (Toponymie) التي لا ينتبه إليها بعض الدارسين، حيث أنّ أسماء الأماكن (جبال، مدن، أودية ... الخ) - ما عدا بعض الأحدث منها - هي أسماء من اللغة البربرية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا^(*) (Mercier, Gustave, 1924 pp. 1-13).

قدّمت الدراسات الأثرية معلومات هامة عن التعمير البشري للمنطقة التي ثبت وجود الإنسان بها منذ المراحل الباكورة [إنسان جبل ار حود وإنسان المشتى (Mechtoïde)] وأهم عنصر لافت للانتباه هو تلك الحضارة التي ازدهرت في الهضبة الصحراوية (طاسيلي ن'آجر Tassili N'Ajjer) التي يمكن اعتبارها أول حضارة صورة

^(**) في قولنا جيوسياسي أي أنّ المصطلح يقوم على أساس الجغرافيا السياسية التي تهتم بالحدود السياسية بين الدول ولذلك يستثنى هذا المصطلح مصر التي تعتبر من بلدان الشرق الأوسط.

^(*) لا وجود لتوبونيميا أخرى سابقة للتوبونيميا الليبيكية مما يدلّ على أنّ الشعوب المغاربية القديمة (نوميديومور وقرامنت ... الخ) هي الأولى والأقدم وهذا يبطل أقوال بعض المتقولين الذين يريدون جعل هؤلاء مجرد مهاجرين إلى المنطقة على غرار شعوب أخرى ...

في التاريخ ففي تلك المنطقة التي كان مناخها معتدلا ومطيرا تكوّنت الأشكال الأولى للتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية عبر مراحل طويلة كما يستفاد من الدراسات التي اعتمدت بالرسومات الصخرية التي صورت مختلف مشاهد الحياة التي عاشها مجتمع حضارة طاسيلي الذي يُعتبر سلفا للشعوب المغاربية التي ستُعرف في فترات لاحقة بالقرامنت والنوميد والمور... (Hachid, Malika, 2000, pp. 1-31).

في هذا المجال الجغرافي المحدد كان الحراك الاقتصادي والمجتمعي يتمّ بالتدرّج، وفيه يكون المجتمع قد تكيف مع بيئته الطبيعية بقدر ما يحسن الانتفاع منها، والبيئة الطبيعية في موضوعنا هذا هي هذا المجال الجغرافي (أنظر الخريطة أدناه) هذه المنطقة التي توزّعها ثلاثية التلّ والسهوب والصحراء على الصعيد الجغرافي، وثلاثية الحضر-والريفين والجبليين على الصعيد الاجتماعي أو ثنائية البدو الرحّل والمزارعين المستقرّين (Rouissi Moncer, 1983, pp. 28-30)، هذه الأطراف تمثّل الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين في المنطقة عبر تاريخها.

التنوع في المناخ ومظاهر السطح هو ميزة إيجابية في الشمال الأفريقي، ولكن امتداد فترات الجفاف على حساب الفترات المطيرة من سليات الطبيعة في هذه المنطقة، ومن هذه السليات خلو البلاد من أنهار غزيرة دائمة الجريان تحقّق التوازن الطبيعي وتدعم الأنشطة الاقتصادية وخاصة استغلال الأرض، وإذا كان انخفاض السطح في مصر قد سمح بجريان النيل شمالا نحو البحر المتوسط وأنقذ مصر من جفاف مميت، فإن هضبة الصحراء الكبرى (آدرار إيفوغاس Adrar iforas) وقفت في وجه جريان نهر النيجر القادم من مرتفعات فوتا جالون باتجاه الشمال الشرقي وجعلته يميل باتجاه الجنوب الشرقي نحو بلاد غنية في مطرها وغطائها النباتي وليست في حاجة إلى مياه هذا النهر الذي يصبّ في خليج غينيا، والأخطر من ذلك هو أنّ الصحراء طغت في امتدادها، وظلّت تتوسّع حتى أطلّت على المتوسط بين السيرتين (les deux syrtes) وعلى الأطلنطي

أ- مجتمع الشمال الأفريقي القديم

المجتمع هو عدد من الأفراد أو فريق من الناس تجمع بينهم روابط التساكن (المكان) والتعايش (روابط اجتماعية) والتشارك (روابط اقتصادية) بشكل منظم يحقق الانسجام والوفاق، فقد نشأ عن الاحتكاك اليومي بالبيئة الطبيعية والاجتماعية ظهور العادات والمعتقدات والتقاليد وكذا بروز بنيات اجتماعية تحدد التراتب التنظيمي المجتمعي.

وإذا اعتبرنا الهضبة الصحراوية (طاسيلي ن'اجر Tassili N'Ajjer) هي المنشأ الأول لمجتمع الشمال الأفريقي القديم (Alimen Henriette, 1968, pp. 421-458)، وأن أولئك النيوليثيين الطاسيليين هم أسلاف الشعوب المغاربية نحصل على استنتاج وهو أن شعوب شمال أفريقيا من أقدم الشعوب، بحيث بدأ التنظيم الاجتماعي في فترة باكرة جداً ومرّ بمراحل يمكن تتبعها من خلال الرسوم الصخرية الغنية بمختلف مشاهد الحياة الاجتماعية.

وفي فترات لاحقة بعد جفاف الصحراء وتراجع الحياة بها وقع النزوح شمالاً حيث سيتطور المجتمع سياسياً في أعرافه ونظمه الاجتماعية وسيتوّج ذلك بظهور الملكية (أشارت أسطورة تأسيس قرطاج إلى ملك اسمه يارباس^(*) (Hiarbas)).

أراد بعض المؤرخين نفي وجود شعب أصيل في هذه البلاد وهذا بطرح سؤال نادراً ما يطرح عندما يتعلق الأمر بالشعوب الأخرى وهو من أين قديم قدم قدماء الشمال الأفريقي (أسلاف الأمازيغ)؟ - وهو سؤال يجعلهم مهاجرين إلى هذه البلاد وليسوا شعبها الأصيل، وأن أفريقيا الشمالية أرض بلا شعب وبلاد للاستيطان (عقون العربي 2008 ص ص 191-200) - وللإجابة على هذا السؤال لم يترك هؤلاء بلداً إلا وافترضوا أن قدماء

(*) وهذا الملك الذي "أمضى" على اتفاق تأسيس قرطاج ليس المؤسس للمملكة أي أن مملكته أقدم من القرن التاسع قبل الميلاد بكثير.

الشعوب المغاربية يكونون قد هاجروا منه وفي الأخير ظهرت نزعتان تحاول كل منهما إثبات رأيها وهما:

▪ النزعة القائلة بالأصول الشرقية انطلاقاً من كتابات بروكوب Procope وباقي المؤرخين المسلمين حيث استند هؤلاء على أسطورة «الشرق هو مهد البشرية» وتمّ «اختراع» قصة النزوح من الساحل السوري في أعقاب فتح يوشع Josué لأرض الميعاد... الخ (Procopé, II, 10, 22) وقصة بطل أسطوري هو أفريقش Africus للترويج للأصول اليمينية^(*).

▪ النزعة القائلة بالأصول الأوربية وهي قديمة وتعود جذورها إلى بعض المؤرخين الإغريق على غرار هيكتاتوس وهيرودوت ثم أحيائها بعض الكتاب الأوربيين خلال الفترة الاستعمارية على غرار برتولون Bertholon والنقيب روزي C. Rozet... الخ (عقون، العربي. 2008 ص. ص. 191-200).

وغير خافٍ أن هذه النزعات تهدف إلى «استتباع واستلحاق» أهالي البلاد الأصليين لترسيخ قدم الوافدين عبر الغزو والاحتلال سواء من الشرق أو الغرب، ولردّ على هذه النزعات خرج البعض بأطروحة أخرى تدافع عن الأصول المحلية لأهالي البلاد وتفترض أن الهضبة الصحراوية التي عرفت حياة اجتماعية اقتصادية نشطة خلال النيوليتيك هي مهد الشعوب المغاربية^(*).

^(*) ولعلّ ذلك كان أيام احتدام الصراع بين القيسية واليمينية في أعقاب الفتوحات لاستمالة الأمازيغ للصف اليميني ضد الصفّ القيسي.

^(*) وهذه هي الإشكالية التي عاجتها مليكة حشيد في أطروحتها: الأمازيغ الأولون بين المتوسط والطاسيلي والنيل.

| المقابل الفرنسي | المقابل في المناطق المستعربة | المقابل في المغرب (Maroc) | بنيات اجتماعية (الجزائر) |
|-----------------|------------------------------|---------------------------|--------------------------|
| Grande Famille | عائلة | Thaguemni | أخام ريف (قبائل الحضرة) |
| Phalange | خزّوبة | Aghess | أخس Takharroubt |
| Sous-Fraction | دشرة | Mouda | أذروم Adroum |
| Fraction | فرقة | Agous | أقوس Thaddarth |
| Tribu | عرش | Thaqbilt | ثاقبيلت Thaqbilt |
| Région | بلاد | Confédération | كنفدرالية Confédération |

جدول رقم (1) بنيات اجتماعية جزائرية ومغربية
المصدر: بوتفنوش، مصطفى. 1984 ص 45.

يقوم النظام الاجتماعي في الشمال الأفريقي القديم على أساس بنيات اجتماعية قاعدتها العائلة الموسّعة (أخام - Akham) ويبرز هذا النظام خاصة في الأرياف لأن المدن تذوب فيها الانتماءات العشائرية بنسب متفاوتة، وقد استمرّت هذه البنيات عبر التاريخ تتجدّد في أسماؤها ولكنها تحتفظ بذات النظام في عموم الشمال الأفريقي.

شكّلت التحالفات القبلية كنفدراليات يجمع كل منها الإقليم الواحد، وقد يتحوّل بعضها إلى قوة سياسية فتؤسس ممالك مثل الماسيل والماسيسيل (النوميد) والمور، هذه الكنفدراليات هي في تعداد شعوب وتجمعها اللغة الواحدة والتقاليد والعادات والمعتقدات وهذه عوامل أساسية في قيام وحدة سياسية غير أنّ تدخل عوامل

«خارجية» حال دون ذلك^(*)، مع أنّ البعض يركّز على الناحية الجغرافية ويُرجع عدم قيام وحدة سياسية إلى خلو البلاد من مركز يمكن أن تلتفّ حوله باقي الأقاليم (Gautier E. F., 1937, pp. 9-10).

| شعوب | كنفدراليات قبائل في تعداد شعوب |
|----------------|--|
| نوميدي Numides | ماسيل (Massyles) ماسيسيل (Masasyles) |
| مور Maures | باوار أو بابار (Bavares ou Babars) باقواط (Baquates) برغواطة في فترة لاحقة |
| جيتول Gétules | جيتول غربيون : بانيور + أوتولول + ماساث ... جيتول شرقيون (من القرامنت الى المارماريد) ميلانو جيتول (Mélano Gétules) قي أقصى الجنوب |

جدول رقم (2) شعوب وكنفدراليات قبائل المغرب القديم

1. العائلة في مجتمع الشمال الأفريقي القديم

هي العائلة الموسعة التي تتعايش فيها الأجيال الثلاثة: الجدّ والأبناء والأحفاد ولكبار السن مكانة كبيرة، ويبدو أنّ العائلة في بداياتها الأولى كانت أموسية^(*) (Matriarcale) وهي مرحلة مرّت بها كل الشعوب القديمة لكن استمرار بعض أشكال هذا النظام الأسري لدى فريق التوارق دليل على رسوخ هذا الشكل الأسري في إحدى أكثر المجموعات الأمازيغية محافظةً على التقاليد الاجتماعية الأقدم في الشمال الأفريقي، وعموماً فإن العائلة في مجتمع الشمال الأفريقي القديم كانت عائلة زواجية

^(*) لعبت قرطاج دور المعرقل لوحدة الشعوب «الامازيغية» من خلال سياسة التحالف والتحالف المضادّ التي أشعلت الحرب بين سيفاكس وماسينيسا وجاء بعدها الرومان الذين زرعوا بذور التفرقة بين نوميديا وموريتانيا منذ حادثة الغدر بالملك يوغرطة ... الخ

^(*) هي العائلة التي تنتمي إلى الأمّ في النسب والإرث ويكون فيها الخال في مقام العمّ في العائلة الأبوسية.

تقوم على أساس الاتفاق بين عائلتين، كما عرفت الفترة الوثنية تعدد الزوجات (***) لكن بشكل محدود، وكان زواج الأباعد هو المفضل (***) .

2. مكانة المرأة

ليس في التقاليد والأعراف الأمازيغية ما ينتقص من مكانة المرأة فقد تبوّأت أعلى الرتب الاجتماعية بحيث تقبل المجتمع أن تكون ملكة وأن تقود الجيوش (الكاهنة) وأن تكون مستشارة في شؤون السياسة والحرب (سيليا أخت الثائر فيرموس) ولعل هذا الوضع المتميز هو الذي كان وراء الأسطورة التي رواها ديودور الصقلي (Diodore de Sicile, II, 44) عن النساء الأمازוניات (Amazones) في المنطقة الغربية من ليبيا (الشمال الأفريقي القديم)، وعموما فإن هذه التقاليد لا يزال لها بعض الامتدادات إلى اليوم في عموم الشمال الأفريقي بنسب متفاوتة وأهمها مشاركة المرأة الجزائرية في حرب التحرير وقيادتها للمعارضة ووجودها في كثير من القطاعات ذات الطابع العسكري.

ب- ثقافة الشمال الأفريقي القديم

تُقدّم تعاريف متعددة لكلمة «ثقافة» (*) حسب تعدد المدارس الفكرية والفلسفية وحسب تعدد المجالات التي تحتلها الثقافة في الزمان والمكان والبيئة والطبقة

(**) تذكر المصادر أن ماسينيسا كان له 44 ولدا مما يدل على وجود تعدد الزوجات في العائلة الملكية، كما أن هذت الملك الذي عمّر طويلا كان لا بد له من أكثر من زوجة ولا نعرف إن كان التعدد بالتعاقب أم بالتوازي ؟

(***) ليس في التقاليد البربرية (الأمازيغية) شرط تزويج البنت من ابن عمّها كما هو الحال في عادات شعوب أخرى وهذه ميزة تجعل المجتمع الأمازيغي منفتحا وله القدرة على احتواء الوافدين عبر التاريخ.

(*) تنبغي الإشارة هنا إلى أن مصطلحا كالثقافة وغيرها من مئات المصطلحات الحديثة ظهرت في بيئة علمية أوربية باعتبار أوروبا مهد الحضارة الحديثة وعندما وقع الاحتكاك بهذا الحضارة فيما يعرف بالنهضة العربية قامت نخبة من اللغويين العرب الذين اشتغلوا بترجمة العلوم الحديثة إلى اللغة العربية بنحت مئات المصطلحات باشتقاقها من جذور كلمات عربية ليقابلوا بها المصطلحات الأوربية وهم بذلك وضعوا الأساس للغة عربية حديثة

الاجتماعية... الخ. ومن هذه التعاريف أن الثقافة هي: «كل ما هو غير فطري أي أنها تعني ما هو مكتسب من خبرات وأفكار ومعلومات وفنون وعلوم..» (De Koninck, Thomas, 1996, pp. 583-612).

في علم الاجتماع تُعرّف الثقافة بأنها: «كل ما هو مشترك لدى مجموعة من الأفراد ويدعم التلاحم في ما بينهم». وفي تعريف اليونسكو أن «الثقافة في معناها الواسع يمكن اعتبارها مجموعة علامات متميزة: روحية ومادية وفكرية، تميّز مجتمعا أو فريقا اجتماعيا وتضمّ من جهة أخرى الفنون والآداب وأنماط المعيشة والحقوق الأساسية للكائن البشري ومنظومة القيم والتقاليد والمعتقدات، هذا «الخزان المشترك» يتطور في الزمان والمكان في أشكاله المتحولة ويتشكّل بطرائق متميّزة في التفكير والسلوك والتواصل»^(*).

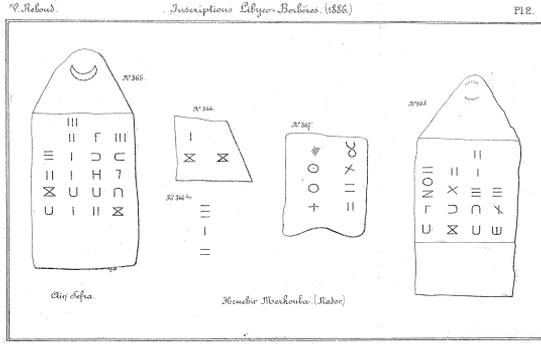
الثقافة حسب الكندي روشي هي «مجموعة طرائق في التفكير والإحساس تتقاسمها مجموعة أفراد بطريقة موضوعية ورمزية في الآن ذاته، وهي مجموعة منتجات مادية ومعنوية مكتسبة ضمن المجتمع» (Rocher G., 1995 pp. 101-127).

كلمة ثقافة حديثة في اللغة العربية وضعت لتقابل كلمة Cultura اللاتينية التي تعني في الأساس «الزراعة» وأول من استعملها للدلالة على الرقي الأدبي والفكري للإنسان هو شيشرون (Cicéron) في قوله الشهير الفيلسوف زرع الروح Cultura animi philosophia est حيث جاء في تعبيره ما يلي: «الحقل مهما كان خصبا لا يمكن أن ينتج

(L'Arabe moderne) مواكبة للتطورات العلمية وما نريد توضيحه هنا هو أن هذه المصطلحات العربية "لفظيا" لم تظهر في بيئة علمية عربية وإنما تمّ نحتها ثم نشرها والترويج لها عبر الصحافة على الخصوص وبذلك ارتقت اللغة العربية وأصبحت قادرة على استيعاب العلوم والأفكار والفلسفات الحديثة. (**) هذا وورد في تصريح مكسيكو خلال الندوة العالمية حول السياسة الثقافية 26 جويلية - 6 أوت 1982.

دون زرعه، كذلك الأمر بالنسبة للإنسان لا يثمر دون تعليم» (CICERON, 1960. II, 4, 13).

نريد من خلال هذه التعاريف أن نلقي نظرة على كل الأشكال الثقافية (لغة، تقاليد وعادات، معتقدات، وهي الأشكال الأولى، ثم الأشكال الأكثر تطوراً: الأعمال الفنية والأدبية والفكرية والعلمية) التي تراكمت وتفاعلت في هذه الرقعة الجغرافية التي يمتد عليها الشمال الأفريقي القديم ولعل أقدم هذه الأشكال هو اللغة.



كتابات جنائزية لليبكية

المصدر: RSAC, Volume XXIV, Année 1886-1887, PL 12

لغة الشمال الأفريقي القديم الأصلية هي اللغة المسماة في الدراسات المتخصصة اللغة الليبكية (Le Libyque) وهي لغة كانت معاصرة للغات قوية (مثل الفرعونية والإغريقية واللاتينية ولغات الشرق الأدنى القديم) ولكن تلك اللغات اندثرت منذ قرون بينما لا تزال اللهجات المنحدرة من اللغة الليبكية حية إلى اليوم ومتداولة في الحياة اليومية لملايين المتكلمين بها، وقد كانت اللغة الليبكية لغة مكتوبة لها أبجديتها (تيفيناغ) (Chaker, S. 1982-1983, p. 216) لكن الاحتلال الروماني الذي سيطر على

البلاد قرونا عديدة فرض لغته ومنذئذ تحولت اللغة الليبيكية^(*) إلى لغة شفوية لأنها فقدت السند السياسي في بلاد فقدت سيادتها(-) ElQadery Mustapha, 2008, pp. 67-82.

اللغات الوافدة إلى الشمال الأفريقي القديم هي اللغة الإغريقية في قورين (Cyrénaïque) واللغة الفينيقية في قرطاج ثم اللغة اللاتينية في عموم حوض البحر المتوسط وليس الشمال الأفريقي القديم فقط، وكانت هذه اللغات مسنودة سياسيا، فقد كانت الفينيقية لغة التجارة في البحر المتوسط والإغريقية لغة الفنون والآداب والعلوم ثم خلفتها اللغة اللاتينية التي مكنتها الإمبراطورية الرومانية من السيطرة على حوض البحر المتوسط.

ج. جوانب من إسهامات الجزائر القديمة في الثقافة الإنسانية

يمكن البدء من النيوليثيك في هضبة الطاسيلي في الجنوب الجزائري حيث ترك لنا أولئك النيوليثيون الطاسيليون مشاهد كثيرة منقوشة على الصخور تصور جوانب هامة من حياتهم اليومية وهي اليوم تشكل متحفا في الهواء الطلق، ومن تلك المشاهد يستتج أنهم أول من بدأ في تحويل مواد أولية إلى أشياء مصنوعة، حيث حولوا الخشب إلى سكاكين، وأول من بدأ في صناعة النبال... الخ وأول من استعمل أشياء مختلفة لصناعة شيء واحد، وكان أولئك الطاسيليون النيوليثيون رواد النقش والنحت والتصوير وصناعة الآلات الموسيقية والعزف عليها والرقص على أنغامها، هذا عدا

^(*) لم يصل إلينا شيء من الكتابات الليبيكية سوى النقوش التي كشفت عنها الأبحاث الأثرية وقد اعتنى بجمعها عدد من الباحثين مثل الدكتور ريبو (DR Rebaud) وشابو (Chabot) وكانت بعض الدراسات الواقعة تحت تأثير أيديولوجي تريد أن تجعل من وصول البحارة الفينيقيين إلى سواحل الشمال الأفريقي القديم بداية للتاريخ في هذه المنطقة غير أن الأبحاث الأثرية أثبتت أن الشمال القديم عرف النظم الاجتماعية والسياسية و اخترع أبجديته الخاصة المتطورة عن الرسوم الصخرية في الطاسيلي قبل وصول أولئك البحارة بقرون طويلة.

الحديث عن المستوى الرفيع الذي بلغوه في فن التصوير الذي وصلوا به درجة الكمال حيث أنّ عددا هاما من تلك الرسومات الصخرية يعتبر أعمالا فنية تامة^(*).



المصدر: Muséum National d'Histoire Naturelle Paris (relevé des fresques de Tassili)

تفاعل قدماء الشمال الأفريقي مع اللغات الوافدة فاكتمسبوها وأتقنوها كأبنائها الأصليين ثم طوّعوها وعبروا بها عن ذاتهم وأحاسيسهم ورؤاهم وأفكارهم^(**)، فقد نشأت في قرطاج لغة فينيقية جديدة متأثرة باللغة الليبكية هي اللغة البونية (Le Punique) وحتى الأبجدية تطوّرت لتترك الأبجدية الفينيقية مكانها للبونى الجديد

^(*) العمل الفني التام هو العمل أو اللوحة التي لا يجد فيها أي فنان مهيا كانت موهبته شيئا يمكن تعديله أو إضافة شيء له.

^(**) عبر غوتبي عن هذه القدرة على امتلاك لغة الآخر التي نعتبرها ميزة بقوله أنّ الأفارقة يبدعون في لغة الآخر مع أنّ هذا لا ينفي عنهم القدرة على الإبداع إلاّ أنّه لم يقل عن فرنسا ذات الشيء فلماذا لم يبدع الفرنسيون في لغتهم السلتيّة واعتنقوا لهجة من لهجات اللغة اللاتينية التي هي اللغة الفرنسية!

(Néo punique) وهذا هو ما نسمّيه أفرقة قرطاج لأن الجغرافيا كما يقال هي القاطرة التي تقود التاريخ (CAMPS G., 1979, p. 43-53).

ذات الشيء يقال عن اللغة اللاتينية التي مكّنت لها المدرسة من الانتشار في الحواضر الأفريقية على الخصوص حتى ظهرت فيها لهجة لاتينية خاصّة بها وكان لا بدّ من انتظار أكثر من قرن ليظهر الجيل الأول من الكتاب الأفارقة باللغة اللاتينية، لأن السبيل الوحيد للترقية في سلّم الوظائف الإدارية والاجتماعية^(*)... كان مشروطا بامتلاك هذه اللغة التي هي اللغة الرسمية في عموم الإمبراطورية الرومانية (جوليان، شارل أندري، 1969، ص 248).

في العادات والتقاليد والمعتقدات والأعراف، هناك العديد من المؤشرات الدالّة على مجتمع منظم منذ فترات باكرة وفي الرسوم الصخرية الطاسيلية الكثير من المشاهد التي تعبر عن تشكّل حياة اجتماعية واقتصادية وكذا عن بدايات المعتقدات الدينية، فقد عرف عن المجتمع الأمازيغي منذ القدم تديّنه البسيط ولذلك لم تكن حياته الدينية مليئة بالآلهة ولم يكن في حاجة إلى سلك كهنوتي ضخم كما هو الحال في ديانات شعوب أخرى، وقد تعبّد لِلشَّمس والقمر وآمن بالأرواح الخفية (الجن) لكن كان له معبودان على رأس كل المقدسات الأخرى وهما تانيت^(*) إلهة الأمومة والطفولة والمرأة الحامل

^(*) في هذا السياق يقول القديس أوغسطينوس: «إنّ الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب بل لغتها أيضا».

^(*) تانيت كلمة أمازيغية تعني الوحم (حالة تنتاب المرأة أثناء الحمل) ولا شك في هويتها الأمازيغية الأفريقية، ومع ذلك يحاول البعض من مستكتبي الأيديولوجيات تجريد الشمال الأفريقي القديم من تاريخه بحيث ينسبوننا إلى الفينيقيين وهذا تزوير سافر للتاريخ لأن المعابد الفينيقية قي فينيقيا ليس فيها أي أثر لهذه الإلهة مع أن هؤلاء وصل بهم الحال إلى حدّ سرقة لوح صخري نقشت فيه صورة الإلهة تانيت وعرضها في متحف لبناني لإثبات ادعاءاتهم! وقد عزّ على هؤلاء أن يعبد القرطاجيون إلهة أفريقية "بربرية" ولذلك لفقوا لها النسب الفينيقي.

والإله أمون (**)، وقد بلغ تعلق قدماء الأمازيغ بالإلهة تانيت أن جسدها في الحلي الفضية وفي الوشم لتكون تعويذة وزينة، وهو شيء مستمر إلى الآن بعد أن ترك الجانب المعتقدي المكان للجانب الثقافي الفلكلوري، ولعل أهم ميزة تثير الانتباه في الديانة الأمازيغية القديمة هي الاحتفاء بقوس قزح واعتباره تجلياً لعروس إله المطر آنزار (***) - في بلاد تعاني من الجفاف في بعض المواسم - ولذلك يسمّى قوس قزح في الأمازيغية: ثيسليث ن'وانزار (Tislit N'wanzar).

عرفت واحة سيوة - التي لا تزال أمازيغية إلى اليوم - باسم واحة الإله أمون وأصبحت مزاراً ومحجاً يفد إليها المتعبدون لهذا الإله من كل الجهات وكان أشهر من وفد إليها الإسكندر المقدوني وقد أصبح هذا الإله لها أمازيغيا مصرياً إغريقياً وتداخلت عناصر طقوسية من الأطراف الثلاثة في عبادته ولذلك كان أصله محل نقاش كبير (*).

خلال الفترة المسيحية قَدّم الشمال الأفريقي القديم عموماً والجزائر على وجه الخصوص العديد من الإسهامات الرفيعة على يد شخصيات ذاع صيتها في العالم القديم (FERDI Sabah, 2008, pp. 122- 129) فهو مهد القديس مرقس (St. Marc)

(**) أمون هو الآخر إله "شمفريقي" قديم وكان له معبد شهير في واحة سيوة الأمازيغية التي تسمى واحة الإله أمون كما عُبد في وادي النيل أيضاً والاسم واضح من ضيعته (صيغة المفرد المذكور في الأمازيغية) وهو قريب من اسم الماء (أمان) والروح (إمان) في الأمازيغية.

(***) في الثقافة الشعبية تقام له طقوس لإنزال المطر ومع أن الإسلام جاء بصلاة الاستسقاء إلا أن طقس أنزار المسمى بوجنجة لا يزال موجوداً في أريافنا، وأهم ما في طقوسه هو مناشدة هذا الإله بأهازيج تختلف من منطقة إلى أخرى ولكن تتفق في غايتها.

(**) المعروف أن الشمال الأفريقي هو بلد الخراف عبر التاريخ وأهم أثر دال على أهمية هذا الحيوان الوديع ما نجده في الرسوم الصخرية (كباش بوعلام) ولذلك يرى البعض أن عبادة أمون في صورة كبش تكون قد انتقلت من الصحراء الليبية إلى وادي النيل في وقت مبكر ليصبح أمون هو كبير الآلهة هناك.

رأس الكنيسة الأرثوذكسية القبطية^(**) والقديس كيريانوس (St. Cyprien) والقديس أوغسطينوس (St. Augustin) أكبر آباء الكنيسة الكاثوليكية (عقون العربي، 2002 ص 119-134) والقديس أوطاتوس الميلسي (St. Optat de Milev) وترتوليانوس (Tertullien) أكبر المنافحين Apologistes عن المسيحية (CHITOUR Chems Eddine، 2008 pp. 106-107) وتأسس مذهبان في المسيحية على يد اثنين من الشمال الأفريقي القديم هما: أريوس (Arius) مؤسس المذهب الأريوسي القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح وهي الطبيعة البشرية نافيا عنه الصفة الإلهية^(***) والقديس دوناتوس (St. Donat) مؤسس المذهب الدوناتوي (بن ميس (عبد السلام، 2010، ص. 23).

في المجال العلمي قدّم الشمال الأفريقي القديم مساهمة رائدة فمنه خرجت أول موسوعة فلاحية في علم النبات وهي الموسوعة التي ألفها ماغون القرطاجي (Magon) وقد ترجمت إلى اللاتينية بعنوان الفلاحة الأفريقية^(*) ويخطئ الذين يتناولون التاريخ بنزعة عرقية عندما ينسبون هذه الموسوعة إلى البونيين وأسلافهم الفينيقيين، ويتعمد المغالون منهم الخطأ، عندما يطمسون إبداعات الآخرين، فماغون هذا هو ابن القرن الثالث إلى الثاني ق.م. وكانت قرطاج حينها قد تفرقت تماما، وما فعله ماغون هو التجول في أرياف الشمال الأفريقي القديم وجمع الخبرات الفلاحية من فلاحي البلاد ليدون تلك الخبرات في كتاب ضخّم من 28 جزءاً، وفي هذه الحال يكون ماغون هو من تعلم من فلاحي البلاد وليس العكس.

^(**) ولد في برقة نزحت عائلته إلى فلسطين، هو أحد حواربي المسيح، كتب أحد الأناجيل الأربعة المعروف باسمه.

^(***) اعتبر البعض أنّ الأريوسية تمثل أول ردّ فعل عقلائي شمال أفريقي (أمازيغي) على المسيحية الأولى المشرقية وكذا أول صيغة للعقلانية بالمفهوم الفلسفي لهذه الكلمة.

^(*) كما ترجم إلى الإغريقية واعتنى بنشره على نطاق واسع الإغريقي كاسيوس ديونيسوس Cassius Dionysus القرن الثاني ق.م.

في المجال الأدبي خرج من الشمال الأفريقي القديم أول عمل روائي في التاريخ وهو من إبداع الأديب الفيلسوف أبوليوس المادوري (Apuleius de Madaure) ويعرف هذا العمل الروائي باسم التحولات أو الحمار الذهبي (Asinus aureus) كما ولع الأفريقيون القدماء بالريطوريقا (فن البلاغة) وكان من أشهرهم على الإطلاق فرونطون السيرتي (Fronton de Cirta) الذي استقدمه الإمبراطور هدریان إلى روما وعهد إليه بتدريس ولديه ماركوس أورليوس Marc Aurèle وفاروس (Varus)، وهذا نموذج من نشره:

«... عندما يحلّ الأجل - الذي لا يمكن أن يؤجّل -
سأحيي السماء وأنا أغادر هذه الدنيا، وسأشهد بنفسني على
جلائل الأعمال التي صنعت، لقد عشت راحة البال مع
أهلي ولم أتحصّل على أيّ من الأمجاد التي في حوزتي بطرق
مشينة، لقد كنت منشغلا بالجانب الروحي أكثر من الجانب
المادّي، لقد فضّلت دراسة العلوم على المنافع المادّية وبقيت
بسيطا، بل لم أتوسّل الحماية من أحد، وكنت أقول الحقيقة
بأمانة، أسمع دون أن أشكو، وكنت أفضل مواساة صديق
على الانغماس في الملذّات وأطلب دائما أقلّ ممّا أستحقّ، لقد
كنت أقرض المال ما استطعت وأساعد من يستحقّ ومن لا
يستحقّ، لم أكن أشترط الامتنان، ولم يثنني ما أجده من
جحود على فعل الخير ما استطعت تجاه الآخرين! (عقون،
العربي. 2005، ص. 315).

عرّف الشمال الأفريقي القديم التعليم بمراحله: الابتدائي والثانوي والعالي وقد ظهر التعليم الابتدائي في روما وشمال أفريقيا (قورينا *Cyrénaïque*) في وقت واحد تقريباً أي خلال القرن السادس ق.م. وكان له معلم متخصص (*Primus Magister*) ويمتدّ على خمس سنوات يتعلم فيها التلميذ^(*) القراءة والكتابة والحساب (St Augustin 1989, I, 13). ولقد كان التبادل الثقافي مزدهراً بين قورينا وأثينا من جهة وبينها وبين الإسكندرية من جهة أخرى منذ القرن الثالث ق.م. ومن هناك تسربت المؤثرات الهلنستية^(*) إلى الشمال الأفريقي القديم خاصة بعد زوال الطوق القرطاجي على المملكة النوميديّة في عهد ماسينيسا (238-148 ق.م.) حيث أصبحت لهذه الأخيرة واجهتان بحريتان الأولى ما بين خليجي السيرت الكبير والصغير^(**) مطلة على الحوض الشرقي للمتوسط والأخرى ما بين طبرقة وروساير مطلة على الحوض الغربي للمتوسط (AOULAD TAHER M., 2004-2005, pp. 29-41).

كانت أولى البدايات الحقيقية للتعليم الثانوي في الشمال الأفريقي القديم منذ القرن الأول قبل الميلاد (الفترة الرومانية) وكانت اللغة الإغريقية تحتل المكانة الأولى في البدايات ثم أخذت مكانة اللغة اللاتينية تزداد لأنها مدعومة من الدولة الرومانية، وكان التركيز خاصّة على النحو وكان يتوجّب على التلميذ حفظ دروسه عن ظهر قلب واستظهارها أمام أستاذه، وكانت المقررات تضمّ أشعار هوميروس ونصوص أوريبيد

^(*) الفعل تعلّم يقابله في الامازيغية: يَلْمَدُ ومنه تشتق باقي صيغ التعلم في الأمازيغية فهل كلمة تلميذ من أصل أمازيغي أم العكس؟

^(*) الهلنستية (Hellénistique) يقصد بها الثقافة والحضارة الإغريقية ما بعد الإسكندر المقدوني.

^(**) ازدهرت العلاقات الإغريقية النوميديّة على الخصوص في عهد الملك ماسينيسا وابنه ميسيسا وقد استقدم الملك ماسينيسا عددا من الفنانين والمهندسين الإغريق إلى عاصمته سيرتا كما أرسل بعض أبنائه لمزاولة دراستهم في أثينة واشترك ابنه مسطان (والد يوغرطة) في الألعاب الأولمبية وكان أول مغربي (جزائري) ينال ميدالية.

(Euripide) وأبوليوس المادوري وشيشرون (Cicéron) وأشعار فيرجيلوس (Virgile) وغيرهم (Marrou H. , 1937,p.25).

عرفت قورينا أو المدن الخمس (Pentapoles) التعليم العالي قبل روما وكانت الريطوريقا (Rhétorique) أهمّ الموادّ المدرّسة لأنّها ضرورية في الوظائف السياسية والقضائية ثمّ تأتي بعدها الموادّ الأخرى، كما أصبحت قرطاج منذ القرن الأول بعد الميلاد مركزا ثقافيا كبيرا يقصده طلبة التعليم العالي من كل جهات الشمال الأفريقي القديم وفي هذا السياق يقول أبوليوس المادوري: «إنّك لا ترى في قرطاج إلاّ نخبة المثقفين الضليعين في مختلف العلوم: طلبة يدُرّسون وشباب يتباهون بعلومهم وشيوخ يدُرّسون... إنّ قرطاج مدرسة معتبرة في منطقتنا، إنّها هدية السماء للأفريقيين» وهذا يوفينال (Juvénal) منذ القرن الأول الميلادي ينصح خطيبا وُلد في روما بالذهاب إلى الضفّة الأخرى للمتوسط (أفريقيا) بحثا عن حظ أوفر قائلا له: «إنّ أفريقيا هي الأرض التي أنبتت المحامين والفصحاء...» (Mandouze André, 1955. p. 38).

كانت قورين مركزا ثقافيا وعلميا كبيرا يفد إليه الطلبة من مختلف الجهات بما في ذلك بلاد الإغريق ذاتها، والإسكندرية، كما يفد إليها الأساتذة مثل أفلاطون الذي زار المدينة لمقابلة الرياضي الأفريقي الشهير ثيودوروس (Théodoros) كما ذكر هو ذاته في محاوره (Theaetetus) وكان الاهتمام بالرياضيات توجّها مغاريبا قديما أحياه وعمّمه إراتوستين القوريني 276 - 194 ق.م. (Eratosthène) وبلغ ازدهار الدراسات الفلسفية أوجّه بتأسيس مدرسة قورينا الفلسفية على يد أرستيب القوريني (Aristippe de Cyrène) وهي مدرسة طوّرت فلسفة أصيلة أساسها مبدأ اللذة والابتعاد عن الألم^(*).

^(*) مذهب اللذة hédonisme القائل بأن السعادة تكمن في الشعور المباشر باللذة الحسية.

في هذا السياق ينبغي التنويه بالملك يوبا الثاني (52 ق.م. - 23 ب.م.) الذي جعل من عاصمته يول-القيصرية^(*) (Iol-Césarée) مركزا حضاريا وعلميا مرموقا رغم نشأته الرومانية إلا أنه كان كباقي معاصريه يميل إلى الثقافة الإغريقية، واعتبر بعض الباحثين أن قيصرية (شرشال) هي أول مدينة «مغربية» إن لم تكن الوحيدة التي اهتمت بتدريس الفنون والآداب على الطريقة الإغريقية (Monceaux, Le Père Paul, 1894 pp. 47-58) منذ القرن الأول قبل الميلاد، وكان التبادل العلمي والثقافي بين قيصرية وأثينا مزدهرا تودلت فيه الوفود العلمية، كما كان الملك يوبا الثاني محل حفاوة من قبل الأثينيين الذين أقاموا له تمثالا وضعوه أمام الخزانة الرسمية لمدينتهم وأكثر من ذلك منحوه المواطنة تقديرا لمكانته الأدبية والفكرية، وهذا ما جعل شرشال تضاهي الإسكندرية حيث وفد إليها الطلبة للاستفادة من المحاضرات التي يلقيها الأساتذة المتقدمون من بلاد الإغريق، وظل الإشعاع الثقافي الهلينيستي في قيصرية ساطعا مشرقا إلى آخر أيام بطليموس بن يوبا الثاني الذي غدر به الإمبراطور الروماني كالغولة (Caligula) وأمر باغتياله (40 ب.م.) وهو في ضيافة الإمبراطورية الرومانية، وبذلك تراجع الدور العلمي الريادي لجامعة قيصرية بالحد من التأثير الهلينيستي على بلدان الشمال الأفريقي القديم لتحل اللغة اللاتينية محل اللغة الإغريقية تدريجيا (بن ميس، ص 34).

إلى جانب هذه العواصم الثلاث قورين وقرطاج وقيصرية التي كانت مراكز للتعليم العالي هناك باقي المدن التي لا تخلو أيّ منها من مدرسة أو مدارس تؤمن لتلاميذها ما نسميه اليوم التعليم الابتدائي والثانوي وأهمها سيرتا (قسنطينة) التي أنجبت أحد عمالقة البلاغة وهو فرونطون السيرتي وهييون (عنابة) التي زاول بها

^(**) شرشال الحالية، اسمها الأقدم هو يول أضيف له لقب الانتفاء إلى يوليوس قيصر: كيساريا أو قيصرية وهو لقب أضيف إلى مدن عديدة من طرف الرومان لتمجيده.

القدّيس أوغسطينوس نشاطه الديني والفكري كأسقف وفيلسوف، وسيكا فينيريا Sicca Veneria (الكاف) التي درس بها أرنوبيوس الريطوريقي، ومادور Madaure (مدواورش Madauros) التي أنجبت أول روائي في التاريخ «أبوليوس المادوري» ومن بين أقوى الأدلة على التطور الفني والأدبي تمتع كل مدينة أفريقية بمسرح^(*) ولذلك ظلت الثقافة حاضرة في الحياة الاجتماعية وظلّ الأفارقة يكتبون ويبدعون وكان آخرهم الشاعر كوريبوس (Corippus) 520-568 والأسقف فيكتور الفيتي (Victor de Vita) 440-484 اللذان عاصرا تقريبا نهاية التاريخ القديم (476 م) وهو ما يدلّ على أنّ الشمال الأفريقي القديم ظلّ يبدع ويتج ويثري الثقافة الإنسانية إلى بدايات العصر الوسيط (عتمان، ص. ص. 67-80).

^(*) أنجب الشمال الأفريقي القديم أحد فطاحل المسرح العالمي وهو ترنس الأفريقي (Terentius Afer) الذي أثرى المسرح بعدد من المسرحيات الشهيرة،

خاتمة

ما يمكن قوله بعد هذا الاستعراض الموجز الذي أردنا أن يكون نظرة فاحصة مبرزة لبعض الجوانب التي لم تنل حقها من البحث هو أن للشمال الأفريقي القديم نصيبه من الحضارة والثقافة وليس كما يصوره البعض بلداً عقيباً، على غرار ما فعلته المدرسة الكولونيالية التي وزعت ما أنتجته هذه البلاد من حضارة وثقافة بين الفينيقيين والرومان فكل ما ليس رومانيا هو فينيقي والعكس ولم يترك منظراً تلك المدرسة للأمة «المغاربية» إلا الهامش المتعلق بالرحلة البدائية، وذلك ما لا نراه خطأً منهم لجهلهم فهم أعلم من غيرهم بتاريخ المنطقة بكل تفاصيله، ولكن الأصح هو أنهم مارسوا تكتيكا أيديولوجيا يهدف إلى محو هوية البلاد والانتقاص من قدرة أهلها على الإبداع الفكري، وهو إجحاف ينبغي اليوم إزالته ومحو آثاره، رغم أننا نرى بكل أسف ذوي النزعات الأيديولوجية كأنهم استلموا المهمة من تلك المدرسة ولا يزالون يسيرون في ذات سياقاتها مع أن الواجب يفترض تحرير تاريخنا واسترجاعه من مغتصبيه بعد استعادة السيادة على الأرض وهذه هي المهمة المنوطة بالجيل الجديد من الباحثين في مستوى الدراسات ما بعد التدرّج.

بيبليوغرافيا

أ. مصادر

1. CICERON, Tusculanes, trad. par Jean Humbert, Paris, Les Belles Lettres, 1960.
2. Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, traduction nouvelle, avec une préface, des notes et un index, par m. Ferd. Hofer. Tome deuxième. Paris, Adolphe Delahays, 4 et 6, rue voltaire, 1851.

ب. دوريات

3. Alimen (Henriette). Beucher Françoise. Lhote Henri. 1968 . Les gisements néolithiques de Tan-Tartaït et d'I-n-Itinen Tassili-n-Aiier (Sahara central). In : **Bulletin de la Société préhistorique française**, tome 65, N. 1. Etudes et Travaux. pp. 421-458
4. AOULAD TAHER (M.). 2004-2005 *L'hellénisme dans le royaume numide au IIe siècle av. J.-C.*, dans **Antiquités Africaines**, t. 40-41, p. 29-41. Editions CNRS, Paris.
5. CAMPS (G.). 1979. *Les Numides et la civilisation punique*, dans **Antiquités Africaines**, t. 14, p. 43-53. Editions CNRS, Paris.
6. Chaker (S.), (1982-1983) Revue **Libyca** .Tome 30 - 31 .p. 216 .Alger..
7. De Koninck (Thomas), Le sens de la culture, Laval théologique et philosophique, vol. 52, n° 2, 1996, p. 583-612
8. Mandouze André. Saint Augustin ou le rhéteur canonisé. In: Bulletin de l'Association Guillaume Budé, n°2, juin 1955. pp. 37-41.

ج. مؤتمرات علمية

9. CHITOUR (Chems Eddine), 12-13 Novembre 2008 L'apport culturel de la culture amazighe au patrimoine de l'humanité (Quelques repères) in l'apport des Amazighs à la civilisation universelle, actes du colloque à Alger pp. 106-107
10. El Qadery (Mustapha), 12-13 Novembre 2008, Paradoxes d'Afrique, Imazighen entre orientalisme et ethnographie in l'apport des Amazighs à la civilisation universelle, actes du colloque à Alger pp. 67-82.
11. FERDI (Sabah), 12-13 Novembre 2008 L'APPORT DES ECRIVAINS AFRICAINS A LA PENSEE CHRETIENNE, in l'apport des Amazighs à la civilisation universelle, actes du colloque a Alger pp. 122- 129.

د. مراجع عربية أو معرّبة

12. بوتفنوشت (مصطفى)، 1984، العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة (سلسلة المجتمع)، ترجمة أحمد دمري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
13. بن ميس (عبد السلام)، 2010 مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة ط 2 الرباط.
14. جوليان (شارل أندري) (1969)، تاريخ أفريقيا الشمالية ج 1 تعريب محمد امزالي والبشير بن سلامة الدار التونسية للنشر تونس.
15. عثمان (أحمد)، 1989، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري سلسلة عالم الفكر العدد 141.
16. عقون (العربي) 2005، من التاريخ البلدي للجزائر القديمة خلال العهد الإمبراطوري الأول : الكنفدرالية السيرتية، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري قسنطينة.
17. عقون (العربي) 2008، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ط 1، نشر دار الهدى، عين مليلة.

هـ . مراجع باللغة الفرنسية

18. Gautier (E. F.), 1937, Le passé de l'Afrique du Nord (les siècles obscurs) éditions PAYOT, Paris.
19. Hachid (Malika), 2000, Les Premiers Berbères. Entre Méditerranée, Tassili et Nil, Ina-Yas / Edisud, Aix-en-Provence.
20. Marrou (H.), 1937 St. Augustin et la fin de la culture antique, édition Boccard, Paris.
21. Mercier (Gustave). 1924. La langue libyenne et la toponymie antique de l'Afrique du Nord. Impr. nationale, 132 pages.
22. Monceaux, (Le Père Paul), 1894, Les Africains, étude sur la littérature latine de l'Afrique, T. 1 : les Païens Paris Lecène oudin et C^{ie} éditeurs

23. Rouissi (Moncer), 1983, Population et société au Maghreb, série horizon maghrébin, éd. OPU., Tunis - Alger,.
24. Rocher (G.), 1995, Introduction à la sociologie, Montréal , éditions de l'université de Montréal.
25. Saint Augustin, 1989 Confessions (I-III) Introduction et commentaire par Jean-Claude Fraisse, 1ère édition, Paris , éditions Hatier.